

# النيل

## أبرز « شخصية » في العالم

عن مجلة « نال » الفرنسية

إن المشكاة الهبشية مما يكن حلها في  
الحقيقة وليدة مفضلة النيل وذيلها الخفية

سُئل مرّة الكولونيل لورنس : « أية شخصية في العالم أكبر نفوذاً وأعظم شأنًا ؟ » فأجاب هذا الرجل الغريب الذي يبدأ كبر مخاطر في عصرنا بكلمة واحدة هي : النيل  
إن في جواب لورنس ما يدعو لأول وهلة إلى الاستغراب لأنه أنزل النهر منزلة العاقلين وجعل منه « شخصية » بارزة ، ولكنه لم يخرج بتحديدته وتعريفه عن اعتقاد قدماء المصريين في النيل ، فضلاً عن أن للكونيل لورنس ولكل انكليزي سبباً يجعله على مجارة الأقدمين في اعتقادهم . وهذه الرواية التي تتلها إيطاليا وانكلترا ويخشى أن تنتهي بمأساة عالية ، أليس بطلها هذا النيل ، بل هذه الشخصية المقدسة التي عبدها الانسان قديماً ولا يزال يعبدها إلى اليوم ؟

ما فتئت بريطانيا العظمى منذ أنشأت امبراطوريتها الاستعمارية تطمع في السيادة على البحار ، وفي التسلط على أهم المآبر البحرية حتى تم لها ذلك ؛ ففي قبضتها الآن كل المغاليق التي تؤمن مواصلاتها بتلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، وأخصها الهند كبرى مستعمراتها وأغناها وأصعبها مراسا  
أدركت انكلترا منذ حملة بونا بورت على مصر أن تأمين طريق الهند يقضى بيسط نفوذها على بلاد الفراعنة دون أن يشاركها فيه أحد . ثم جاء فتح قناة السويس باعثاً آخر على تشبها بهذا النفوذ . ومن تدبر سياسة انكلترا في خلال قرن كامل رآها تدور كلها على محور واحد ، هو سلامة طريق الهند . فكل شبح تتخيل فيه ما يمس هذه السلامة عاجلاً أو آجلاً حاذرته وسمت إلى طمسه . هكذا فعلت وكذا تفعل الآن في موقفها السلي تجاه الغزوة الابطالية

إن الانكليز الذين يقبضون في السويس ومدن على مغلاق

أو كبيرة ولو أن هذا البحث في النفس أصبح عادة لقل شرهم من غير أن يمنهم بحشهم من الاقدام في الحياة إلا إذا استفحل وهو قلماً يستفحل فيدعوم استفحاله إلى الشك والتردد والاحجام واتهام النفس في كل أمر

ولولا أن الناس يملون عن عيوب ضمايرهم وضماير الناس الشيء الكثير الذي يحاولون إخفاءه ما كثر سوء ظنهم بالنفس الانسانية ، ومن العجيب أنهم يحاولون جعل حسن الظن بالنفس الانسانية مبدأ عاماً وهم في سريرتهم يسيئون الظن بكل نفس من نفوس الناس ، وهذا الاختلاف بين المبادئ النظرية والمعتقدات العملية أمر تشوق دراسته ، والقصد من تلك المبادئ النظرية حمل الناس عليها للاستفاح بها لأن كل إنسان يود أن يحسن غيره به الظن وأن يسوء هو الظن بغيره ، ومن عجائب الضماير أنها قد تغري أصحابها بأن يعتقدوا إذا حلت بأعدائهم مصيبة أن المصيبة حلت بهم لأنهم أعداؤهم

والخبرة بالضماير يبنى أن تحذر المرء إذا رأى متخصصين فلا يقول إن أحدها فاضل ذو حق والآخر ناقص ذو باطل ، فقد يكون كل منهما على حق أو على شيء من الحق أو على باطل ، وقد يكون الأ أكثر حقاً هو الأ أكثر حظاً من الفضيلة ، أو بالعكس قد يكون الأ أكثر حقاً هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، وقد يكون المناصر للحق والفضيلة بشموزه وعواطفه وبيانه هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، ولكن النفوس قلما تتقصى كل هذه الأمور ولا أهون عندها من أن تحكم بغير علم وأن تورط ضمايرها فيما حكمت فيه بغير علم ، ومع هذا التورط فإن الناس قد يعرفون أن جليهم غدار مغتاب بنىء اللسان فلا يمنهم يقينهم وعرفانهم من مؤاخاته ، وتتغابى ضمايرهم وتتماهى عن عيوبه وعن شره وقبح نفسه مادام مرجو النفع ، فضمايرهم تتورط في الحكم بغير علم وتمتنع عن الحكم على علم

وفي الخليفة صنف آخر من الضماير تكون أسقاماً عند أصحابها وتعظم عيوبهم في أعينهم ، وهذا مرض نادر مثل مرض إيغال المرء في شخص نفسه

وضمير صاحب الشمور النيل له أن يطالب بالأ يعاقب على نيل شعوره ولكن ليس له أن يطالب جزاء أو شكوراً ، إذا كان جزاؤه في نيل شعوره وإذا كانت مسرته فيه وشقاؤه في غيره

عبد الرحمن شكري

الترع ، لكي يستثمر النيل وينتفع بخبراته . واننا لنجد ذكر النيل ورسومه في أساطير مصر وفي كتب ديانتها ، وفي كل شأرا من شؤونها ، فهو من مصر كالروح من الجسد

### منبع النيل :

أين منبع هذا النهر العجيب واهب الخيرات ؟ كان في اعتقاد الأقدمين أن مخرج النيل من جبال القمر ، وهذا الاعتقاد الذي يظهر لأول وهلة أنه وليد الخرافات مبني على حقيقة عرفت يوم اكتشف منبعه الأصلي ، وهي أن أصول النيل مخرج من أعالي « أوجمازي » ، وهذه اللفظة معناها « بلاد القمر » . وقد ظلت هذه الأصول مجهولة حتى أواسط القرن الماضي ؛ وحاول كثيرون من الرحالة أن يهتدوا الى منبع النيل فلم يظفروا بطائل ؛ فحمد على أوفد ثلاث بعثات بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٢ ، فكان نصيبها الاخفاق ؛ والفرنسي دارنو لم يصل الى أبعد من الدرجة ٤٢ من العرض الشمالي ؛ والاطاليان ميانى ودبونو ، والانكليزي بريك ، والفرنسي لاجان ، لم يجاوزوا الدرجة الثلاثين . وظل منبع النيل سرا مجهولاً الى أن اكتشف الرحالة الانكليزي سبيك بحيرة تانجانيقا بين سنتي ١٨٥٧ و ١٨٥٩ فإذا هي مصدر النيل . وفي سنة ١٨٦٠ عاد يرافقه جرانت فحدد بتدقيق مخرجه . فنبع النيل الأبيض اذن هو بحيرة تانجانيقا العظيمة التي تزيد مساحتها على ٧٠ ألف كيلو متر مربع ، وموقعها يعلو عن سطح البحر نحو ١٣٠٠ متر

يتألف النيل الأبيض من شلالات ريون ، ويسير قاطعاً المستنقعات والقفار والبحيرات ، وضاماً اليه بعض الأنهر الصغيرة حتى يصل أرض الفراعنة ، فينسب بين سهولها وحيداً لا يعترضه شيء الى أن يصب في البحر المتوسط . وطوله من منبعه الى مصبه ٦٢٨٠ كيلو متراً ، وهو أعرض من نهر الأمازون في البرازيل ، وأطول من السيبي في الولايات المتحدة

أما النيل الأزرق فصدره بحيرة تانا في الحبشة ، ويتصل بأخيه النيل الأبيض عند الخرطوم عاصمة السودان . وهو غزير المياه ولاسيما في فصل الأمطار في الحبشة . ومدته من يونيه الى أواخر أغسطس . ولولا النيل الأزرق لما أروى النيل الأبيض وحده أراضي السودان ومصر ، فهو اذن عامل كبير في حياة تلك

البحر الأحمر لم يرعهم وجود إيطاليا في ارضها ، ولكنهم وجفوا إذ رأوا موسوليني طامعاً في البلاد التي يبتثق منها النيل الأزرق ، ولذلك تراهم يلجأون الى كل الوسائل لاحباط مساعي الرجل الذي يحلم باعادة الامبراطورية الرومانية

### النيل واهب الخيرات

النيل اذن شخصية كبيرة كما عرفه الكولونيل لورنس ، وقد يكون أكبر شخصية في تاريخ الشعوب التي عمرت شواطئ البحر المتوسط . قال هيرودوت قديماً : « مصر هبة من هبات النيل » وهذه حقيقة لأن مصر قيمتها بنيلها ، ولولاها لكانت مفازة قاحلة لاشان لها ، فهي شقة من الأرض تمتد من النوبة الى الدلتا ويجري فيها خط طويل دائم الاخضرار ، ولولا هذا الجرى الحيوى الذى ينساب في أحشائها ويروى غليلها لما كان للانسان والنبات والحيوان حياة فيها ، لأنها لا تعرف المظر إلا نادراً في شهر يونيه ترتفع مياه النيل فتفيض على الأراضي نائرة عليها طبقة من الغرين الذى يعد من أحسن أنواع السماد . ويبلغ معظم فيضانه في أول أسبوع من شهر أغسطس ، فترتفع مياهه الى ستة أمتار ، ثم تتناقص تدريجاً فيأتى الفلاح ويشق وجه الأرض بسكته التاريخية التي تشابه سكة سلفه منذ ألوف السنين ويستغل خيراتها في شهرى ابريل ويونيه

جعل النيل من مصر بلداً خصباً غنيا ، فلا غرو أن سبق المصريون الأقدمون شعوب الأرض في ميادين الحضارة والثقافة . كانت مصر موطناً لثمانى عشرة سلالة من الفراعنة قبل ظهور موسى ، وكانت مسرحاً للحوادث التاريخية الكبيرة قبل أن تظهر للوجود آشور والفرس واليونان . ثم كانت مقصداً لطلاب العلم والفلسفة والثقافة من جميع الأنحاء ، فهي اذن كانت مهدبة الانسانية وحاملة نبراس المدينة في العصور القديمة ولكن الى أى شيء يمزى فوقها في تلك العصور التي كانت شعوبها في حالة البربرية ؟ كلمة واحدة تجيب على هذا السؤال ، وهي : النيل

لقد تعلم المصري القديم كل شيء من نيله ، ولأجل نيله استنبط علم الفلك لكي يحدد أوقات الفيضان ، واخترع التقويم والحساب ، وعلم الهندسة والمساحة ، وإنشاء السدود وشق

بعض ما يترك

## بعد الزهاوى !

بقلم عبد الوهاب الأمين

أصبح « الزهاوى » الآن فى رحمة التاريخ الذى لا يرحم !  
ودخلت « كان » الخالدة عليه ، فليس يشار اليه الا بها . وذهب  
فى عالم الشعر والخيال ، بمد أن كان بشعره مرآة للحوادث  
المهمة فى حياته وحياة عصره

ولقد كان فى حياته - وما أشد وقع « كان » هذه ! -  
يتمتع بمطف شديد من طبقة الأدباء ، بقدر ما كان مفضولاً عليه  
من الطبقات المتعصبة ، ولقد يكون من المناسب أن أذكر الآن  
أنى كنت ممن نقدوا شعر « الزهاوى » بشدة ، وقد سافنى الى  
ذلك وقتئذ اختلاف عصرى عن عصره بطبيعة الحال وبعد شقة  
التفاهم بين عاطفة شيخ من أدباء القرن التاسع عشر وميول شباب  
فى القرن العشرين لم يطمئنه ويرضه أدب لا يبر عن ميوله ؛  
وكنت فى ذلك الحين أترقب التشجيعين المنوى والأدبى بنقدى  
ذلك ، فما راعنى الا ذلك اللوم والعتاب الذى نجاني من جماعة  
كثيرين كانوا مجمعين على أحقية النقد ، غير أن ذلك لم يمنهم من  
أن يقابلوه بشيء غير قليل من التذمر ! حتى لقد بلغنى أن أحد  
من كان ييدم الأمر حينئذ أشار الى رئيس تحرير الجريدة التى  
كنت أشتغل بها أن يطلب منى الكف عن نقد « الزهاوى » !  
وكنت فى ذلك الوقت اشتغل بالصحافة ، فلم يسمنى الا النزول  
على ذلك المطلب ، وكففت عن الكتابة فى تلك الجريدة ، غير  
أنى تابعت نقده فى غيرها !

\*\*\*

لقد أؤخذ « الزهاوى » على بعض عقائد له جاهر بها فى  
حياته ، وعرف له فيها كثير من الاغراق والتطرف ، كما أنه كان  
يجد على نظره هذا كثيراً من المشجعين . وفى رأبى أن المؤرخ  
الذى سيكتب تاريخ حياة « الزهاوى » جدير به أن ينظر فى هذا  
الأمر بدقة عند كتابته حياة الفقيه ، ففى فهم هذه الناحية من

الواسعة ؛ ولا يمكننا أن نتصور مبلغ نكبة مصر بفقدانها  
المجربى الحيوى

والنبيل الأزرق

إن بلداً كعصر يتوقف عمرانها بل حياتها على نهر ،  
بدع أن يهتم أولو أمره قديماً وحديثاً بالموضع الذى يخرج  
« هذا النهر ويراقبوه بعين يقظى . وكما يشغل اليوم بال  
انكليز خطر تحويل مجرى النيل الأزرق إذا ما استولت  
الحبشة دولة قوية ، كذلك كان يشغل أفكار الفراعنة منذ  
رف الستين مثل هذا الخطر ، فكانوا يحاولون دائماً التسلط على  
الحبشة التى كانوا يدعونها بلاد كوش لسكى بأمنوه . ولم يكن  
أحجاش أنفسهم غافلين عن هذه الفكرة ولكنهم لم يستطيعوا  
خراجها إلى حيز العمل الكبير لافتقارهم الى الأدوات اللازمة ،  
حتى اليوم لا يزال ضعف الامبراطورية الحبشية وتأخرها  
فى مجال الحضارة ضماناً لسلامة مجرى النيل الأزرق . أما إذا  
استولت على الحبشة دولة أوربية صناعية مثل ايطاليا ، فإيمنها  
غداً إذا أرادت أن تستثمر - كما نشاء - الثروات الطبيعية  
فى بلاد مساحتها نحو ضعف مساحة فرنسا أن تحول النيل الى غير  
مجراه الحالى ؟

إن هذه الفكرة وحدها كافية لأن ترعب انكلترا التى ترى  
فى تحقيقها خراب السودان ومصر ، ولا عجب إذا رأيناها فى موقف  
الجد والحزم ازاء المشكلة الحبشية التى هى فى الحقيقة معضلة  
النيل وذبولها الخفية ؟ (ترجمة العصبية)

## آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

« الطبعة الرابعة »

ترجمتها الأستاذ أحمد مسمو الزيات

وهى قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً